

أضواء البيان

. @ 395

وإيضاح المعنى أنه تعالى وفق المؤمنين بإنزال السكينة ، وازدياد الإيمان وأشقى غيرهم من المشركين والمنافقين فلم يوفقهم بذلك ليجازي كلا بمقتضى عمله . .

وهذه الآية شبيهة في المعنى بقوله تعالى في آخر الأحزاب : { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِذْ نَسَهُ كَانَ ظَلُمًا مَّا جَهْلُولاَ لَّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } . قوله تعالى : { وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أنه يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات وهي غضبه ، ولعنته ، ونار جهنم . .

وقد بين في بعض الآيات بعض نتائج هذه الأشياء الثلاثة ، كقوله في الغضب : { وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى } . وقوله في اللعنة ، { وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فْلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا } وقوله في نار جهنم : { رَبَّنَا إِنَّا ذُكِّرْنَا بِأَنْفُسِنَا وَأَلْهَيْنَاكَ الْغَايَاتِ فَوَدِدْنَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ الْغَوَايَاتِ لَتَجْزِيَنَّا نَارَكَ } . قوله تعالى : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أنه أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم شاهداً ومبشراً ونذيراً . .

وقد بين تعالى أنه يبعثه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة شاهداً على أمته ، وأنه مبشر للمؤمنين ومنذر للكافرين . قال تعالى في شهادته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على أمته { فَكَذِّبَتْ إِذَا جَاءَتْهَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِرَسُولٍ مِمَّا يَخْلُقُ فِيهَا قُتُلُوهَا بِمَا يَكْفُرُ } . قوله تعالى : { وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } . قوله تعالى : { وَجَاءَتْهَا بِرَسُولٍ مِمَّا يَخْلُقُ فِيهَا قُتُلُوهَا بِمَا يَكْفُرُ } .

فآية النساء وآية النحل المذكورتان الدالتان على شهادته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على أمته تبينان آية الفتح هذه . .

وما ذكرنا من أنه مبشر للمؤمنين ونذير للكافرين أوضحه في قوله تعالى : { فَإِنْ زَمَّ مَا يَنْصَرُونَ نَاوَهُ بِمَا نَكَلُوتُهُمْ لِيَنْصَرُوا بِيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .